هذه لن تتزايد كثيراً، لسبب بسيط يدركه كاتب مثل اوبراين وهو ان مصائر الكيان الصهيوني مرتبطة تماماً بوظيفة وُجد ليقوم بها؛ وظيفة تتجاوز تقديم وجبات الاحسان الى ثلاثة ملايين يهودي من مختلف الجنسيات؛ وهي مهمة كان يمكن ان تقوم بها الامم المتحدة بشكل اكثر جدوى، بدل ان يُخترع لها جيش وتقام لها دولة. ان المهمة الاصلية للاستيطان السياسي، والعسكري، والزراعي، والادبي ايضاً، هي توسيع رقعة الهيمنة على الوطن العربي تحديداً. واذا ما حاول الاديب والشاعر الاستيطانيان الاهتمام بحديقتيهما الخاصتين فقط، فسيأتي اليوم الذي يقال لهما فيه باللغة العبرية: ما الذي تفعلانه هنا؟ ان هذا الكيان لا يتسع لهذا الترف، ترف الاحسان.

يحق لبعضهم الشكوى من تكبيله بكل أدوات الحرب والقمع، واعداده، بشكل متواصل، لملاحقة مطلق الصهيونية حتى حرب النجوم، ولكن لا يحق له ادعاء البراءة. هل هي بريئة داليا رابيكوفتش؟ هل هو بريء يهودا عميحاي؟ هل هو بريء عاموس وهذه الجملة العريضة من أدباء وكتّاب الاستيطان؟ كيف لا يكون القلق ادعاءً بالبراءة وهذه المدينة التي يتحرك فيها عميحاي ليست الاّ مدينة فلسطينية؟ وهذه الكروم التي يستثمرها جنرالات الحرب هي كروم الفلسطينيين؟ وهذا الساحل الذي تذهب اليه داليا مع اطفالها هو ساحل الفلسطينيين؟

ان الادعاء بالبراءة يكشف عن نفسه في هذه المنظومة اللغوية التي يبدو بعضهم واثقاً من جدواها: منظومة «الاراضي المحتلة» و«السكان الفلسطينيين»؛ حتى ان تعبير «الاحتلال منذ عشرين عاماً» صار رائجاً في الصحافة الصهيونية. مثل هذه المنظومة يختصرها البعض في تعبير «مقايضة الأرض بالسلام»، بينما هي في الحقيقة مقايضة «الارض بالارض»: «اعترفوا لنا بما احتللناه.. نتنازل لكم عمّا احتللناه»! سيشعر المستوطن سواء أصهيونياً كان ام غير ذلك باليأس وليس بالقيمة الانسانية لمعنى الوطن والشعب. وهذا هو تعبير اليأس من الاسطورة الصهيونية ومحاولة اقامتها على أرضية علمانية، كما يقال. انهم يتحدثون، منذ زمن، عن «هوية اسرائيلية» يستطيع ان ينضوي تحتها اي انسان من اي جنس، ويفرّقون بهذا بين الهوية «الدينية» التي منحها المستوطنون الاوائل لهذا الكيان، وبين الهوية العلمانية الاكثر انسجاماً مع مقتضيات أواخر القرن العشرين. أليس هذا تعبيراً عن اليأس أيضاً؟

ان ٧٥٠ الف فلسطيني في الناصرة والمثلث والساحل والنقب سيكونون، بمنطق هذا اليأس، «اسرائيليين»، او هكذا يفترض؛ اما البقية، وهي ١,٦ مليون في فلسطين الشرقية، وغزة، فليكونوا أي شيء، ما عدا ان يكونوا فلسطينيين! ان الخيال الادبي والقصيدة الصهيونية، يودان ان يشقّا طريقهما بأي ثمن ولو بالتنازل عن جزء من الاسطورة؛ ولو بالمقايضة.

انه المأزق الذي لا يعترف به الكاتب والمثقف الاستيطاني، بل يترجمه الى تبسيط يدرك اليمين الصهيوني سوءه تماماً. انه يجعل المأزق الجوهري، اي مأزق استيطان أرض فلسطين، ثانوياً حين يحوّله الى مأزق احتلال فلسطين الشرقية. واخيراً تطلب داليا رابيكوفتش تأييداً من الاوساط السياسية الفلسطينية، تطلب الثقة. فاذا كان وجود الشعب الفلسطيني وفلسطين يعني نهاية الحلم الشاعري والخيال الأدبي، فلماذا لا يتغذّى البولندي على أحلام بولندية؟ ما ذنبنا نحن اذا كان وجودنا يعني نهاية أحلامه وخياله؟ وما الذي يمكن ان نقدّمه غير كشف زيف براءة من هذا النوع وكشف ابعاد المأزق التي تحيط بدولة وفكر وأدب الاستيطان؟